حقيقة الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ر . هـ . نولت)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

— ٣ —

٤ — الحرب المقدسة :

الجهاد فى سبيل الله أو الحرب المقدسة دفاعا عن الدين والوطن ، ضد الكافرين الذين يناصبون المسلمين العداء ويقفون فى سبيل دعوتهم حجر عثرة ، عمل مطالب به كل مسلم بل وفى حكم الفرائض الخمس السابق ذكرها ، وكثيرا ما يضاف إليها بدليل نزول كثير من آيات القرآن تحض المسلمين على الجهاد وتشتمل على وعود فيها الخير الكثير والثواب العظيم فى الآخرة وهناك سورة كاملة تكاد تكون كلها حضا على الجهاد فى سبيل الله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » .

« ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » .

وللقرآن فى هذا المقام طريقة فريدة ، فهو عندما يحض المسلمين على القتال ، يثبتهم ويقوى روحهم المعنوية ، حتى ينزلوا إلى المعركة وهم واثقون من النصر ، ما داموا

متبعين لأوامر قوادهم ، لأنه يبين لهم أن النصر ليس معقود على الكثرة العددية ، ولكن على قوة الإيمان والصبر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

« إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

ومع ذلك فإن هذه الحرب لا تقوم اعتباطا ولا يتلبس لها المسلمون أو هى الأسباب ، لأن لديهم القوة التى تبدد شمل عدوهم وعندهم الوعد من ربهم بأنه يشترى منهم انفسهم بأغلى ثمن ، ذلك الثمن الذى يتمناه كل مؤمن بربه ... بل على العكس من ذلك لا يقدمون على هذه الحرب إلا مضطرين بعد نفاذ كل حيل السلم ، فهم يتلمسون طرق السلام والبعد عن مثيرات الحرب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم »

فليس الإسلام دين حرب وسفك دماء ، ولكنه دين سلم واخاء ، يعمل على نشر مبادئه بالحسنى ، كما يدفع أعدائه باللين ، فإن عجز لجأ بعد ذلك إلى القوة .

وقد كان خليفة المسلمين أيام الأمبراطورية الإسلامية يجمع بين مختلف الزعامات ، فهو الزعيم الدينى والزعيم السياسى والقائد الأعلى للجيوش الإسلامية فى مختلف الميادين ، وذلك لأن الحرب المقدسة لم تكن تختلف عن الحرب السياسية فى شىء ، بل إنهما تسيران جنبا إلى جنب .

بيد أنه عندما ضعفت الدولة وفقد الخليفة مركزه هذا ، أصبح الجهاد فى سبيل الله عملا يتوقف على الصفات الأخلاقية الشخصية ، وعلى ما يتمتع به المسلم من قوة الإيمان وثبات العقيدة .

ولقد بذلت فى السنوات الأخيرة جهود كثيرة لأحياء تلك الحرب المقدسة ودفع المسلمين إلى الجهاد فى سبيل الله ، ولكن هذه الجهود لم يكتب لها النجاح .

***

إن المسلم الحق ، التقى المخلص هو الذى يقوم بأداء كل الفرائض اليومية ، ويشعر بما تتضمنه من تكاليف ثقيلة ، وربما كان أداء كل هذه الفرائض يتسم ببعض الخلاف بين إقليم وإقليم . غير ان المسلمين جميعا يشتركون فى إيمانهم بأن الله فرض عليهم قتال الأعداء فى قوله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... » .

كإيمانهم بالله وصومهم شهر رمضان وعدم تركهم الصلاة وكثيرا منهم يحرص على الاشتراك فى القتال كما يحرص على صلاة الجماعة كل يوم جمعة وكل عيد من أعيادهم .

إن المسلم يحرص أن يكتب له جهاده فى سبيل الله ، فى كتابه الذى سيأخذه يوم القيامة بيمينه ، هذا الكتاب الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، لأنه يثاب على الاشتراك وتثقل به موازينه يوم الحساب ، كما يثاب على بقية الفرائض الأخرى .

إن أداء الفرائض التى كتبها الله على المسلم ، يعتمد عليها المسلمون فى نجاتهم من العذاب ، إذ أنه ليس فى الإسلام وساطة كتلك التى تتعهد بها الكنيسة .

الإسلام دين الحياة الكامل

اقتصر بحثنا فيما سبق على أن الإسلام دين يتضمن ما تعنيه كلمة « الإسلام » من عبادات ودعاوى إلى الخير والسلام لإنقاذ معتنقيه .

والآن تريد أن نبحث أمورا يتضمنها الإسلام أكثر من مجرد العقيدة والعبادة التى تنتظم العلاقة بين العبد وربه.

ليس الإسلام دين عبادة فقط . ولكنه دين عبادة ودين عمل يضم بين جنباته كل ما تحتاج إليه الحياة ويحتاجه الناس فيها . فهو ينظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان . وينظم افكاره وتصرفاته الخاصة والعامة . الاجتماعيه والفردية . إلى حد بعيد جداً عما نعرفه نحن فى تجاربنا اليومية العادية .

والذى يدرس الإسلام دراسة منزهة عن الأغراض . يجد انه نظام فريد فى تكييف الطريقة الكاملة للحياة .

والشريعة الإسلامية . هى خلاصة عدة قرون امضى فيها رجال الدين الإسلامى من متفقهين ومجتهدين ايامهم فى إحكام وضع تعاليم الله كما انزلها فى القرآن وكما قررها محمد عليه السلام فى السنة فى على شكل اوامر ونواه تنير الطريق امام الناس وترشدهم إلى ما فيه خيرهم . هذه الشريعة تعتبر العمود الفقرى للمجتمع الإسلامى .

والحق الذى لا مراء فيه ان الشريعة الإسلامية كانت منذ بزوغ فجر الإسلام ، القانون الذى اخذ بيد المسلمين إلى طريق الحياة الصحيحة . وقادهم إلى أرقى درجات الحضارة ووصل بهم إلى أعلى مراتب النجاح .

فالشريعة تنظم حياة المسلم ، وتعلمه كيف يؤدى فرائض الله على وجهها الصحيح وكيف يوقر والديه ويضعهما فى موضعهما اللائق بهما . وهل هناك شريعة حثت على حسن معاملة الوالدين كما حثت عليها شريعة المسلمين التى تقول :

« وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

والتى تنص على مصاحبتهما بالمعروف حتى ولو أرادا ان يصداه عن عبادة الله .

« وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

كما أنها تبين للمسلم ماذا يلبس وماذا يأكل إلى غير ذلك مما يعتقد الكثيرون أنه لا دخل له بالدين ولا يمس العقيدة فى شىء .

ولكن الباحث المدقق يجد أن كل شىء فى حياة المسلم يمس عقيدته أشد المساس .

وفوق ذلك فالشريعة الإسلامية تضع قواعد الزواج والطلاق والوراثة وتوضحها توضيحا لا يحتاج إلى شرح . وتنظم شئون العائلة تنظيما كاملا وتحدد موقف كل فرد فيها وتبين ما له وما عليه .

وقد لجأ أكثر المشرعين الحديثين الذين يهتمون بحياة الأسرة ويعملون على وضع قواعد تنظمها ، إلى شريعة الإسلام يستقون منها النظم ويستعينون بقواعدها فى تنظيم الشئون العائلية ، ولكنهم فى الحقيقة لم يستطيعوا الاتيان بجديد .

فالشريعة الإسلامية أوسع مجالا مما نعرف للشرائع الدينية من قوانين ولوائح ، لأنها خلاصة لا للقواعد القانونية وحدها ، ولكن للقواعد الدينية والأخلاقية والمدنية أيضا .

وشريعة الإسلام من أهم أغراضها تنظيم أعمال الإنسان. ولما كان المسلم العادى كثيرا ما تلتبس عليه أعماله ، فلا يدرى أهى موافقة للدين أم مخالفة له ، لذلك وجدت منذ فجر الإسلام طبقة من العلماء الذين فهموا الدين حق الفهم وتفقهوا فيه ، اطلق عليهم المسلمون كلمة (المفتين) مهمتهم الإجابة عن الأسئلة التى يوجهها إليهم المسلمون يسألون فى مختلف شئون دينهم كما يقومون بشرح ما غمض على الناس من أمور معاشهم .

هذا النظام (نظام الافتاء) لا يزال إلى يومنا هذا قائمين بين المسلمين .

(البحث مستمر)